تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

دولة ما بعد الاستعمار: أزمة الهوية وتنازع الشرعية
دراسة في الحالة العربية

أ.د محمد أمزيان
أستاذ الفكر السياسي الإسلامي – جامعة قطر–

ملخص :

أفرزت الحيثيات التاريخية ثلاثة أنماط سياسية، باتت العلاقة بينها تقوم على النفي المتبادل: هي نمط الدولة الوطنية بحدودها القطرية، ونمط الدولة العربية بحدودها القومية، ونمط الدولة الإسلامية العابرة للحدود والقوميات . هذا الثالوث الذي بات يتنازع ليس فقط شرعية الوجود بل أيضا شرعية البقاء على هذه الرقعة الجغرافية من الوطن العربي حيث تضيق مساحة التعايش السلمي بين الأطراف المتنازعة. لذلك، من المفيد مساءلة تلك الحيثيات التاريخية التي اختمرت فيها التجارب الثلاث بالقدر الذي يساعد على فهم طبيعة الجدل السياسي الذي أصبح يهيمن على انشغالات الوعي السياسي العربي منذ الاستقلال، والذي فشل في التوصل إلى تفاهم يضمن حدا من التوافق المجتمعي على المستويين الفكري والسياسي.

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: **2019/01/15** تاريخ القبول:**2019/04/14** تاريخ النشر **2019/12/22**

-

Résumé

La rhétorique historique a produit trois modèles politiques, la relation qui repose sur la négation mutuelle: le modèle de l'État national avec ses frontières , le modèle de l'État arabe avec ses frontières nationales et le modèle de l'État islamique transnational. Cette Trinité, qui est maintenant en conflit, n'est pas seulement requise pour la légitimité de l'existence mais aussi pour la légitimité de la survie dans cette zone géographique du monde arabe, où l'espace pour la coexistence pacifique entre les parties en conflit se réduit. Par conséquent, il est utile de tenir compte de la raison historique selon laquelle les trois expériences ont été concoctées dans la mesure où il est utile de comprendre la nature du débat politique qui a dominé les préoccupations de la conscience politique arabe depuis l'indépendance et qui n'a pas permis de parvenir à un accord garantissant le consensus de la société aux niveaux intellectuel et politique.

الكلمات المفتاحية: أزمة الهوية – تنازع الشرعية– النزعة الوطنية القطرية – الجامعة الإسلامية

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

مقدمة

يتنازع مفهوم الدولة وهويتها السياسية والأيديولوجية في عالمنا العربي ثلاثة أنماط سياسية، باتت العلاقة بينها تقوم على النفي المتبادل: هي نمط الدولة الوطنية بحدودها القطرية، ونمط الدولة العربية بحدودها القومية، ونمط الدولة الإسلامية العابرة للحدود والقوميات. هذه الأنماط الثلاثة لم يكن الخلاف بينها في الدرجة، إذ أنّه يتعلق فقط بالحدود التي ينبغي أن تقف عندها الدولة، بل إنه خلاف في محددات شرعية الدولة ذاتها، هل هي القطرية أم القومية أم الإسلامية. وهذه المحددات الثلاثة ظلت متنافرة وغير قابلة للتعايش على أرض الواقع على مدار مرحلة الاستقلال، وهذا ما جعل الأنماط الثلاثة تدخل في علاقة صراع، حيث أن قيام أي نموذج من النماذج الثلاثة يقتضي بالضرورة نفي النموذجين الآخرين.

هذه الخارطة المعقدة التي يتداخل فيها الفكري بالسياسي وما أفرزته من تداعيات سياسية واجتماعية وأمنية في واقعنا الراهن تطرح تساؤلات حول الحيثيات التاريخية التي أفرزت هذا الثالوث الذي بات يتنازع ليس فقط شرعية الوجود بل أيضا شرعية البقاء على هذه الرقعة الجغرافية من الوطن العربي حيث تضيق مساحة التعايش السلمي بين الأطراف المتنازعة. لذلك، من المفيد مساءلة تلك الحيثيات التاريخية التي اختمرت فيها التجارب الثلاث بالقدر الذي يساعد على فهم طبيعة الجدل السياسي الذي أصبح يهيمن على انشغالات الوعي السياسي العربي منذ الاستقلال، والذي فشل في التوصل إلى تفاهم يضمن حدا من التوافق المجتمعي على المستويين الفكري والسياسي.

وعلى المستوى المنهجي، نتعامل هنا مع مرحلة تاريخية حبلى بالمشاريع

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

والطموحات، تشابكت فكريا وسياسيا على مدى زمني تمتد جذوره إلى منتصف القرن التاسع عشر، حيث كانت المجتمعات العربية تتهيأ لخوض تجربة الاستقلال التي بقيت مثقلة بالإرث الاستعماري، وهو ما يتعذر معه استيعاب هذا الزخم في هذا الحيز الضيق من الدراسة. لذلك، سيتم التركيز على المرحلة التأسيسية التي تشكلت فيها تلك التوجهات الثلاث، مع العمل قدر الإمكان على استنطاقها ضمن سياقاتها التاريخية التي أفرزتها، ودونما أي قصد إلى استقصاء تفاصيلها، إذ الغرض تقديم شواهد تاريخية حية من واقع البيئة السياسية والفكرية الحاضنة التي تبلورت فيها المشاريع السياسية الكبرى التي كانت ولاتزال تتنازع شرعية الدولة الوطنية الراهنة.

أولا. تنازع الشرعية بين الترعة الوطنية القطرية والجامعة الإسلامية

تاريخيا، بدأ مفهوم الدولة الوطنية بحدودها السياسية القطرية في الظهور في مرحلة الاستعمار وما صاحبها من مخططات لتجزئة العالم العربي، الأمر الذي بدا معه مشروع الدولة الوطنية في تلك المرحلة المبكرة من عمره وكأنه يسابق الزمن لقطع الطريق عن أي مشروع توحيدي مستقبلي، عربيا كان أم إسلاميا. لكن، إنصافا للتاريخ الوطني العربي التحرري، ليست كل دعوة إلى الوطنية معادية بالضرورة لفكرة الوحدة الجامعة، سواء أكانت وحدة عربية أم إسلامية. وإذا أخذنا التجربة المصرية كحالة سياسية من أكثر التجارب الوطنية نضجا في تلك المرحلة، نجد أن نضالها في التحرر الوطني ضد الاستعمار البريطاني من جهة، ومطالبها الوطنية والقومية المنافحة عن العروبة ضد هيمنة الترعة التركية من جهة ثانية، كل ذلك كان يتم في إطار الرابطة

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

العثمانية وفكرة الجامعة الإسلامية باعتبارها رابطة دينية جامعة.

واستنادا إلى دراسة عبد العظيم رمضان حول تطور الحركة الوطنية في مصر، ظهرت الدعوة إلى الجامعة الإسلامية عبر منبر جريدة العروة الوثقى التي أسسها جمال الدين الأفغاني مع محمد عبده في باريس عام 1884 بعد إخراجهما ونفيهما خارج مصر بأمر من الإنجليز الذين رأوا في مشروعهما الوحدوي خطرا على تثبيت احتلالهم لمصر الذي منذ عام 1882. لقد كانت العروة الوثقى تؤكد أن الدولة صاحبة السيادة المعترف بها دوليا على مصر هي الدولة العثمانية، مع العلم أن جمال الدين الأفغاني شخصيا كان لا يرى تَوَحُّد كافة الأقطار الإسلامية تحت حكم خليفة واحد بقدر ما كان يدعو إلى نوع من التحالف الذي يحفظ وحدتهم الدينية([1]). أما الشيخ محمد عبده، فقد بلغ به الحماس أن رفع هذه الفكرة إلى مصاف العقائد الإيمانية، فقد كتب يقول: "إن المحافظة على الدولة العلية العثمانية ثالثة العقائد بعد الإيمان بالله ورسوله. فإنها وحدها الحافظة لسلطان الدين الكافلة لبقاء حوزته([2]).

وكشاهد من وحي ذلك التاريخ، قدم زعيم الحزب الوطني مصطفى كامل كما أسلفنا نموذجا جديرا بالتقدير، إذ اعتبر شعار الوطنية توأما للدين وإطارا للنضال السياسي من أجل الحرية والكرامة والاستقلال. يقول مصطفى كامل: "قد يظن بعض الناس أن الدين ينافي الوطنية، أو أن الدعوة إلى الدين ليست من الوطنية في شيء. ولكني أرى أن الدين والوطنية توأمان متلازمان، وأن الرجل الذي يتمكن الدين من فؤاده يحب وطنه حبا صادقا، ويفديه بروحه وما تملك يداه"([3]). وفي دفاعه عن الرابطة العثمانية كتب

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

مصطفى كامل يقول: "وإني أضرع إلى الله فاطر السماوات والأرض من فؤاد مخلص وقلب صادق، أن يهب الدولة العلية القوة الأبدية والنصر السرمدي، ليعيش العثمانيون والمسلمون مدى الدهر في سؤدد ورفعة"([4]). ومن المؤكد أن هذه الأحاديث العاطفية كانت تستهدف تحديدا التيار اللبرالي الذي اتخذ من الوطنية شعارا لمحاربة الوحدة الوطنية الملتحمة بالعقيدة الدينية، وإلا لكان ضربا من لغو الكلام.

وإلى جانب الرموز السالفة، كان هناك آخرون من كبار الأدباء الذين جندوا أقلامهم للدفاع عن فكرة الجامعة الإسلامية ضد مناوئيها من دعاة الوطنية الانفصالية اللبراليين. وقد بقيت أعمالهم الملحمية شاهدة على الوعي بخطورة المنعطف الذي كان يمر به التاريخ السياسي للمجتمعات العربية آنذاك، ويكفي أن نسوق نموذجا لهذه الأعمال الأدبية تلك القصيدة التي رفعها أمير الشعراء شوقي إلى السلطان عبد الحميد عندما تمرد شريف مكة ضد الحكم العثماني فيما عرف بالثورة العربية الكبرى عام 1916.

يقول شوقي:

ضج الحجاز وضج البيت والحـــــــــرم
واستصرخت ربها في مكة الأمـــــــــم
قد مسها في حماك الضر فاقض لهـــا
خليفـــــة الله أنـــــت السيـــــد الحكـــــم
لك الربوع التي ريـــــع الحجيج بهـــا أللشريف
عليهـــا أم لـــــــــك العلم؟

وبالمقابل، كان التيار اللبرالي الذي تحمل تاريخيا عبء إنجاز مشروع الدولة الوطنية صريحا في مهاجمة فكرة الجامعة الإسلامية، والوحدة العربية والرموز الداعية إليها على السواء. لكن ما يبدو لافتا، أن هذا الهجوم كان يتم باسم الوطنية ذاتها ودفاعا عنها بما يجعلها الطرف النقيض لدولة الوحدة. وقد ساعد

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

على تقوية الاتجاه الوطني التغريبي هجرة الجيل الأول من المسيحيين اللبنانيين إلى مصر حيث كان الاستعمار البريطاني تحت قيادة اللورد كرومر يوفر الغطاء السياسي للانفصاليين العرب ضد الدولة العثمانية. قام هذا التيار الوافد بدور بارز في تعميق النزعة الانفصالية من خلال عمل مؤسسي منظم حيث أنشأوا صحيفة "المقطم" و"المقتطف"، كما ظهرت إلى الوجود أحزاب لبرالية منها "الحزب الوطني الحر" و"حزب الأمة" سنة 1907([5]). وقد أظهرت هذه القوى الانفصالية تناغما كبيرا مع الاستعمار، ولعلنا نجد في الإنتاج الأدبي لهذا الاتجاه أصدق الشواهد الكاشفة على تماهي المشروع الوطني اللبرالي مع المشروع التجزيئي الاستعماري. هذا التماهي بين الطرفين جسدته سلسلة لا تكاد تنتهي من الوقائع والأحداث التي تلاحمت فيها القوى اللبرالية مع سلطة الاحتلال في إضعاف شوكة الوحدويين. وتشير القصائد الشعرية التي كانت تنشر على صفحات المقطم والمقتطف سجلا تاريخيا نادرا في التأريخ لها التلاحم الذي تجاوز المناورات السياسية إلى التناغم الوجداني، ويكفي شاهدا على ذلك هذه المقتطفات التي ينصح فيها عراب الاحتلال بني وطنه بالتخلي عن جلدهم، ليشربوا من فضائل جلاديهم([6]):

هذى فضائلهم يا قوم
فانتجعـــــــوا
مناهل المجد إصدارا وإيرادا
خير النصيحة أسديها إلى وطني
لعلني مرشد من رام إرشادا
كونوا أحباء خيرا من
تنافركـــــــم
ولا تكونوا عباد الله أضدادا.

أما أشكال هذا التلاحم، فهي لا تكاد تخرج عن الصورة النمطية

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

المعتادة في الأعمال البطولية التي دأبت على تمجيد الخيانة. وقد كانت القصائد التي نظمت في تمجيد الإنجليز وعدلهم ونيل السعادة في أحضانهم لا تخرج عن هذه الصورة النمطية التي كذب فيها الرائد أهله:

هم معشر أبدعوا في سيرهم طرقا
للمجد صاروا بها غرا وأمجادا

وبالمقابل، كانت القصائد التي تهاجم الوطنيين الأحرار "دعاة الفتنة" لا تخرج عن نمط الأعمال الهجائية المقيتة:

لا تـــوقدوا جمـــرات البغض إيقـــادا
مـــن الهموم بنـــا مـــا جـــل تعـــدادا.

أما على مستوى التنظير السياسي، فيبرز اسم أحمد لطفي السيد، زعيم حزب الأمة، ومحرر صحيفة الجريدة اللبرالية، والذي اشتهر تاريخيا بأنه عراب اللبرالية العربية والعلمانية المصرية، والذي كان يقف ندا للزعيم الوطني الوحدوي مصطفى كامل. وعلى سبيل المثال، كتب أبو اللبرالية المصرية، مقالا عن "الجامعة المصرية" أي الوطنية المصرية، يحذر فيه المصريين من الاندفاع العاطفي الأعمى والتعلق بأوهام "الجامعة الإسلامية" أو ما كان يعرف بـــ "الرابطة العثمانية"([7]). أما السبب الأساس لهذا الموقف المعادي فهو اقتناعه "بأن التضامن القائم على أساس ديني يتعارض مع القومية العلمانية ذات الجذور الإقليمية التي كان يتبناها، فهو (أي الولاء الديني) يناقض الصيغة المصرية المقدسة "مصر للمصريين"...،"([8]).

أما في منطقة المغرب العربي، فالملاحظ أن التوجه العام الذي هيمن على حركات التحرر الوطني، خاصة في مراحلها الأولى هو مزج الوطنية بالعروبة والإسلام، والقبول بمبدأ الوحدة، ولم تطرح المسألة الوطنية كنقيض للقومية أو الإسلام

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

بالمعنى الذي تبناه الليبراليون في المشرق. وهذا الموقف التصالحي يمكن إرجاعه إلى عاملين: الأول، التأثر بدعوة السلطان عبد الحميد الذي كان يوظف شعار الوحدة لمواجهة المؤامرة الدولية والموجة الاستعمارية في آسيا الوسطى والهند والعالم العربي؛ والثاني، التوجه الإصلاحي العربي الإسلامي الذي تشبع به قادة الحركة الوطنية، وتواصل الرموز المغاربية مع التيار الإصلاحي في المشرق. والملاحظ أن رموز المقاومة التي قادت الجهاد ضد الاحتلال الفرنسي في المغرب العربي نهاية القرن التاسع عشر أمثال الأمير عبد القادر الجزائري والشيخ محمد السنوسي كانوا يتحركون في إطار الجامعة الإسلامية حيث أسسوا حركة العروة الوثقى، وكانت حركة سرية انضم إليها كثير من رموز الزيتونة أمثال الشيخ محمد بيرم الخامس والشيخ سالم بوحاجب.

وقد تعزز هذا الاتجاه بزيارة الشيخ محمد عبده إلى تونس وهو ما أسس لتوجه النخب المغاربية والمشرقية نحو العمل على تحقيق الوحدة العربية والإسلامية([9]).

وهذا التوجه الوحدوي كان واضحا في برامج كثير من الأحزاب المغاربية كما هو الحال مع حزب نجم شمال إفريقي بقيادة امصالي الحاج، وجمعية علماء المسلمين بقيادة عبد الحميد بن باديس في الجزائر، والجمعية الخلدونية والحزب الحر الدستوري بقيادة الشيخ عبد العزيز الثعالبي في تونس، وحزب الوفاق الوطني الموريتاني ذي التوجه الوحدوي العربي الإسلامي التحرري بزعامة أحمد بن حرمة بن بيانا في موريتانيا، ورموز الحركة السنوسية في ليبيا. ولكن الإقرار بهذا التوجه الوحدوي لم يكتب له النجاح لعدة أسباب، منها الحرب العالمية الأولى التي أنهت الوجود الفعلي للرابطة العثمانية. غير

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

أن السبب الأهم في ذلك يعود إلى الدور السلبي الذي قامت به كثير من النخب الوطنية الفرنكوفونية المغاربية في إفشال الجهود الوحدوية خاصة بعد تشكيل جامعة الدول العربية عام 1945. ثمة تفاصيل مهمة حول الحراك المكثف الذي قادته رموز الحركة الوطنية المغاربية لا يتسع هذا الحيز لبسطها، لذلك نكتفي بالإشارة إليها باختصار شديد. ففي عام 1947 انعقد مؤتمر المغرب العربي بتونس ضم زعماء الحركة المغاربية برئاسة عبد الرحمن عزام الأمين العام للجامعة العربية. ووفقا لقراءة سعيد جلاوي لمخرجات المؤتمر، كان هناك توجه واضح لدى المؤتمرين نحو القطرية وتأكيد الاستقلال في إطار السيادة الوطنية بخلاف الشعار الذي رفعه المؤتمر. وفي نفس السنة تشكل مكتب المغرب العربي بالقاهرة للتنسيق بين الحركات الوطنية المغاربية لتحقيق الاستقلال، وانبثقت عنه لجنة تحرير المغرب العربي عام 1948 برئاسة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، وتبنى ميثاقها مغربة الكفاح المشترك ضد الاستعمار، كما تبنى الأمير خيار العمل المسلح لتحقيق الاستقلال والوحدة المغاربية. لكن الحقيقة المرة أن القيادات الوطنية المغاربية لم تكن تؤمن بهذا الخيار الذي كانت ترفع شعاراته لمجرد توظيف اسم الأمير الخطابي سياسيا وإعلاميا دون منحه أية صلاحيات فعلية لتسيير العمل السياسي، وكان عملهم الفعلي يتجه نحو العمل القطري. وكان على رأس هذا الفريق الحبيب بورقيبة الذي كان يجري اتصالات سرية بالسفارة الفرنسية للتفاوض على الاستقلال الذاتي، وانتهى الأمر إلى القطيعة بين الخطابي وبين معظم القيادات المغاربية التي عادت إلى أقطارها للتفاوض مع الاستعمار الفرنسي ضمن الإطار القطري، وكان أولهم بورقيبة([10]).

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

قد يتبادر إلى ذهن القارئ أن القادة المغاربة قد ضيعوا فرصة تاريخية لتحقيق وحدتهم، لكن هذا الحكم يبقى نسبيا جدا، ولعل الصحيح أن خيار الوحدة لم يكن واردا أصلا لدى كثير من قادة الحركة الوطنية المخضرمين الذين خاضوا مرحلة المفاوضات على الاستقلال. ولنا أن نسوق بعض المؤشرات التاريخية المهمة في هذا السياق. ففي الحالة التونسية يمكن أن نصف الانقلاب الذي قاده الحبيب بورقيبة ضد الحزب الدستوري القديم بزعامة الشيخ عبد العزيز الثعالبي انقلابا على المشروع الوحدوي برمته، وهما نهجان يقومان على استراتيجيتين متعارضتان. كان مشروع الثعالبي كما شخصه يوسف مناصرية يقوم على فكرة الجامعة الإسلامية المستمرة، وربط تونس بالمشرق العربي وإحياء الوحدة العربية الإسلامية، كما كان الثعالبي يحمل عداء تاريخيا للاستعمار، وكان لا يتصور سلامة تونس إلا في إطار ربطها بأشقائها في الجزائر والمغرب وليبيا وموريتانيا، وتوحيد المغرب العربي من المحيط إلى الحدود المصرية، ومن البحر المتوسط إلى أعماق الصحراء([11]). لكن هيمنة بورقيبة المدعوم فرنسيا على قيادة الحركة الوطنية التونسية أدى إلى إجهاض كلي للمشروع الوحدوي لصالح المشروع القطري المرتبط بالمركز الفرنسي.

أما في المغرب الأقصى فقد ظهرت خصوصية التجربة المغربية بوضوح في تقوقع الحركة الوطنية المغربية حول ذاتها، ونزعتها الاكتفائية وغير المتحمسة للأفكار الوحدوية، خاصة فكرة الجامعة الإسلامية التي كانت تلقى رواجا كبيرا خلال مرحلة الاستعمار، والتي تأثرت بها العديد من حركات التحرر الوطني في بقية دول الغرب الإسلامي. وبالرغم من

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

كل الظلال الدينية التي كانت تتجلبب بها حركات المقاومة الوطنية المغربية، يبقى مفهوم الوطنية الذي كانت تبشر به في جوهره ينتمي إلى الفضاء السياسي الغربي الذي يأخذ شكل "الدولة الأمة". ويجدر بنا أن نلاحظ هنا حجم تماهي الخطاب السياسي لزعماء الحركة الوطنية مع ما كانت تعلنه الطبقة الحاكمة من تمسك بشعار الوحدة والعروبة والإسلام، مقابل تأصل النزعة الوطنية الانفصالية في وعيها السياسي المتجذر تاريخيا. وعلى سبيل المثال، كان الملك محمد الخامس في المغرب يردد على الدوام في خطاباته أن الإطار العام للدولة المغربية هو إطار القومية العربية والتعاليم الإسلامية، دون أن يكون لهذا الشعار أي ترجمة على مستوى التفعيل السياسي الذي يمكن أن ينتج آثاره الوحدوية. وهذه الازدواجية في الخطاب كانت مفهومة في سياقها التاريخي حيث كان الملك بحاجة إلى خطاب تعبوي من أجل الحفاظ على العرش الذي بات مهددا من قبل الاستعمار والقوى الإقطاعية الموالية له في الداخل، وهو ما حدث فعلا مع فتنة الجلاوي ومحمد بن عرفة الذي نصبه الاستعمار ملكا على البلاد. وهنا لابد من التفريق بين الهدف والوسيلة، لقد كان الهدف هو الحفاظ على استمرارية الدولة الوطنية واستقلالها، بينما كانت الوحدة في إطار العروبة والإسلام مجرد شعار تعبوي باعتبارها الوسيلة الأكثر تأثيرا في الجماهير المتعطشة للوحدة تحت نير الاستعمار، وهو ما يجعل قيمة هذا الشعار لا تتجاوز بعده الدعائي البراغماتي، إذ لم يكن له أي مدلول وحدوي حقيقي بمعناه السياسي.

وهذا الموقف الرسمي هو ذاته الذي كانت تعكسه بقوة الأحزاب الوطنية المغربية كما كانت تعبر عنه قياداتها الفكرية والسياسية. ففي حزب

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

الاستقلال على سبيل المثال، يلاحظ أن السلفية المغربية التي أُعجبَ بها علال الفاسي ووظفها بقوة فِي تأطير الحراك السياسي المقاوم كانت، على العكس من السلفية المشرقية التي شربت منها، سلفية وطنية لا تؤمن بفكرة الجامعة الإسلامية التي كان يرى فيها مجرد وسيلة للإعداد الفردي والإصلاح الاجتماعي، وتقوية التضامن بين الجماعة الإسلامية على أساس الإخاء الإسلامي، كما كان يرى أن الأمم الإسلامية تجاوزت تنظيم الخلافة على أساس تكوين جامعة أمم شرقية، واقتنعت بضرورة القومية المبنية لا على الروح العنصرية أو الدينية ولكن على أساس الروابط الإقليمية([12]).

والحقيقة أن هذا الموقف من المرحوم علال الفاسي كان يعكس هواجسه السياسية كمناضل حزبي رهن المستقبل السياسي لحزبه بالعرش الملكي أكثر مما كان يعبر عن رؤية معرفية موضوعية ومحايدة، وذلك في تناقض صارخ مع خلفيته العلمية الشرعية ببعدها المقاصدي من جهة، وتجاهل كامل لمقومات وحدة الأمة الإسلامية الدينية والسياسية، والقواعد الناظمة للاجتماع السياسي الإسلامي من جهة ثانية. يدل على ذلك موقفه السلبي من الوحدة الإسلامية الجامعة حيث وصف الدولة العثمانية إبان ضمها للجزائر بأنها "دولة مُستعمِرة إسلامية"، وذلك في تناغم كامل مع الموقف المعادي الذي أظهره ملك المغرب في ذلك التاريخ عبد الرحمن ضد الدولة العثمانية([13]). والمفارقة هنا أن المغرب عندما شعر بتهديد سيادته تحت الاستعمار الفرنسي، لم يجد ملك المغرب آنذاك مولاي الحسن(1873-1894) بُدا من استعطاف الباب العالي حيث قرر أن يجدد معه علاقته الدبلوماسية ضمن

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

إطار "الجامعة الإسلامية" التي كان يروج لها السلطان عبد الحميد، فوجَّه وفدا إلى الأستانة استُقبل بحفاوة بالغة من السلطان عبد الحميد، "لأن سياته –وفقا لشهادة علال الفاسي الذي أرخ لهذا الحادث– لم تكن قومية بل مبنية على روح الجامعة الإسلامية"([14]).

ولسنا بحاجة إلى التنبيه على البراغماتية السياسية التي تتكشف عنها هذه المواقف المتناقضة.

أما في منطقة الهلال الخصيب، فقد كانت النزعة الانفصالية عنوانا على مسيحيي سوريا ولبنان([15])، بينما بقيت القوى السياسية الإسلامية محافظة على المناداة بالإصلاح السياسي في إطار الرابطة العثمانية. وهذا التوجه بقي مهيمنا على فكر الإصلاحيين في المشرق، بمن فيهم دعاة القومية العربية إلى حدود الحرب العالمية الأولى حيث ظهرت الدعوة إلى الانفصال عن الدولة العثمانية. وبعد سقوط الدولة العثمانية، استمرت الدعوة إلى فكرة الجامعة الإسلامية، حيث تعالت الأصوات من مختلف مناطق العالم الإسلامي إلى إعادة بناء الوحدة الإسلامية المنهارة، وهي الدعوة التي أثمرت تنظيم "المؤتمر الإسلامي" بالقاهرة سنة 1926.

وفيما يخص الجزيرة العربية، ودون الحديث عن دول المشيخات العربية التي لم تشهد النقاشات الملحمية التي عرفتها المنطقة العربية إبان الاحتلال بالنظر إلى نشأتها المتأخرة مطلع السبعينيات حيث كانت التقاليد القطرية قد ترسخت في الوطن العربي، تبقى المملكة العربية السعودية حالة شاذة حيث تسجل وثائق المدونات البريطانية تفاصيل مثيرة حول موقف الملك عبد العزيز الرافض والمعادي للاعتراف بالوحدة سواء ضمن الجامعة الإسلامية تحت حكم الدولة العثمانية، أو المملكة

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

العربية الموحدة التي كان يفترض أن تمتد من الجزيرة العربية إلى منطقة الهلال الخصيب بزعامة شريف مكة، أو جامعة الدول العربية. وهذا الموقف الرافض للوحدة كان يصاحبه طموح غير محدود في التوسع، وهو ما كلفه حروبا مستمرة ضد جواره السياسي. وهذه الازدواجية المشوبة بالتناقض في الجمع بين الأطماع التوسعية ورفض أي شكل من أشكال الوحدة، تؤكد في الواقع غلبة المصالح الذاتية التي تتغذى من تقاليد الحكم العشائري على منطق الانتماء إلى الأمة الجامعة أيا كانت الرابطة التي تقوم عليها عربية أم إسلامية.

وقد يكون موقفه السلبي من الجامعة الإسلامية مفهوما، فهو كزعيم دولة تجتر تقاليد "إمارة الاستيلاء" المتعارف عليها تاريخيا، لم يكن ليقبل بمبدأ الوحدة مع الدولة الأم التي انشق عنها، وهو الأمر الذي كان يجهر به بكل وضوح. ففي حوار له مع أحد الساسة البريطانيين حول مصير الخلافة العثمانية، أجاب ابن سعود بأن حكام العرب لا يهمهم في كثير أو قليل من الذي يجلس على كرسي الخلافة...، وسيظل كل حاكم عربي يدير شؤون قبائله ويرحب بكل وضع يعطيه مناعة ضد المظالم التركية([16]). وهذه الملاحظة ذاتها تنطبق على موقفه الرافض للوحدة مع الهاشميين لما يعنيه مبدأ الوحدة من إضعاف لمملكته الناشئة، وهو موقف دفع به إلى أقصى حدوده عندما صرح في إحدى مذكراته إلى اللورد موين بتاريخ دسمبر 1941 بأنه لا يرى أي مبرر لدى عرب سوريا وفلسطين للتخلص من الوصاية الفرنسية والبريطانية إذا كانوا سيقعون بعدها تحت الوصاية الهاشمية أو المصرية. **أما الحل الواقعي الذي يراه بديلا عن الوحدة، فهو قيام دول عربية مستقلة**

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

يجمعها تحالف تحتل فيه بريطانيا دورا مركزيا مادام لا يوجد زعيم عربي يمكنه تولي قيادتها، ومادام أن بريطانيا –كما يرى–تتمتع باحترام جميع العرب، وقد كتب في هذا الشأن برسالة إلى المقيم البريطاني في القاهرة يؤيد فيها التعاون الاقتصادي العربي تحت إشراف بريطانيا، مع رفض وحدة العرب السياسية([17]).

لكن ما لم يكن مبررا هو إصراره على رفض تأسيس جامعة الدول العربية مع أن ميثاقها كان يعترف بسيادة الدول القطرية المنضوية تحتها بحدودها القائمة. فقد أعلن الملك عبد العزيز معارضته لفكرة الوحدة منذ الدعوة إلى عقد المؤتمر التشاوري الأول سبتمبر 1943([18]).

كانت هذه باختصار شديد مجمل المواقف التي نازعت الدولة الوطنية الحديثة شرعيتها أو التي دافعت عنها. وبمراجعة برامج العديد من الأحزاب السياسية العربية إبان مرحلة الاحتلال فضلا عن الأدبيات السياسية الإسلامية، يمكن القول بأن مفهوم الوطنية فيها لم يكن يطرح كنقيض لفكرة الوحدة. ومن المؤسف أن هذا الاتجاه تم إقصاؤه بقوة من قبل سلطات الاحتلال، كما تعرض للتضييق الشديد من قبل الأحزاب اللبرالية الموالية للاحتلال الذي عمل على تقريبها وتسهيل وصولها إلى سدة الحكم، وهو ما قطع الطريق نهائيا عن فكرة الوحدة. كما أن النزعة التسلطية والاستبدادية التي طبعت دولة الاستقلال منذ لحظاتها الأولى حيث اصطدمت بالوطنيين الأحرار، حالت دون فتح أي نقاش جاد حول المشروع الوحدوي. والحقيقة التي تنبئنا بها الوقائع التاريخية، خاصة بعد تشكيل جامعة الدول العربية، أن القيادات السياسية القطرية لم تكن مؤمنة بمبدأ الوحدة، وهو الأمر الذي تجلى بوضح في كيان جامعة الدول العربية

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

الذي فشل في ترجمة الوحدة في شكل مؤسسات اتحادية مشتركة مؤثرة في السياسة الخارجية العربية، وداعمة للتكامل العربي، مما جعل منها كيانا مصطنعا ومشوها.

ثانيا. تنازع الشرعية بين النزعة الوطنية والنزعة القومية

بداية، يمكن القول بأن انتكاسة الثورة العربية ضد الحكم العثماني سنة 1916 شكلت صدمة لدعاة القومية العربية، تلك الثورة التي كانت حبلى بطموح القوميين العرب الذين هبوا من مختلف المناطق العربية للانخراط في صفوفها. لكن الحلم بوطن عربي موحد سرعان ما جوبه بمعارضة شديدة على يد الكتلة اللبرالية آنذاك، وهو ما ولد لديها اندفاعا غريزيا بمهاجمة التيارات الوحدوية التي كانت ترى فيها تهديدا لمكاسبها السياسية والاقتصادية الضيقة. لذلك، لم يختلف الموقف مع التيار الوحدوي العربي، فكما هاجم أحمد لطفي السيد فكرة الجامعة الإسلامية، كذلك فعل مع فكرة الوحدة القومية العربية، وعلى حد زعمه، فإن "السعي لتأليف تحالف من هذا النوع وهم من الأوهام"، بل ويرى أن الداعين له "يضيعون الوقت في خيال عقيم، وأحلام بعيدة التحقيق"([19]).

أما عن وجهة نظر القوميين العرب في تقييم الوضع السياسي لتلك المرحلة، فقد يكون مفيدا أن ننقل هنا بعض الانطباعات الحية التي سجلها ساطع الحصري من واقع معايشته لتلك التناقضات التي طبعت العلاقة بين النزعتين: الإقليمية الوطنية من جهة، والقومية الوحدوية من جهة ثانية، وذلك عقب فشل الثورة العربية الكبرى. يرى ساطع الحصري أن هناك عاملين أساسيين ساهما معا في إجهاض المشروع الوحدوي

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

العربي: سلطة الاحتلال، والنخب السياسية المحلية الناشئة.

على المستوى الأول، تحدث الحصري عن دور الدول المحتلة في عرقلة المشروع الوحدوي، حيث كانت تلك الدول—كما يقول-لا ترتاح إلى تكتل الشعوب العربية، وترى من مصلحتها أن يستمر التباعد بين هذه الشعوب، بل ويتفاقم ويتأبد، ولذلك كانت تبذل كل ما في استطاعتها للحيلولة دون انتشار فكرة القومية العربية. ويورد الحصري نصا نموذجيا للخداع الذي كانت تروج له الدعاية الفرنسية عبر الصحافة والمدارس، والذي يقول: " إن السوريين ليسوا بعرب ولو كانت لغتهم عربية، واللبنانيون يختلفون عن العرب وعن السوريين في وقت واحد، إنهم فينيقيون. ولاسيما المسيحيين منهم من أبعد الناس عن العرب والعروبة، لأنهم أحفاد الصليبيين الذين كانوا أتوا إلى سوريا ولبنان من مختلف البلدان الأوروبية، ولاسيما فرنسا"([20]).

أما فيما يتعلق بدور النخب المحلية، فقد كانت النزعة الإقليمية -كما يقول الحصري-تكرس سياسة الأمر الواقع متمسكة بالحدود السياسية المرسومة، وكانت تستمد قوتها من وجودها المادي على الأرض، وأصبح قادتها السياسيون يعملون وسعهم في تثبيت واقعهم. ونتيجة لهذا الواقع، كانت الفكرة القومية في حالة نزاع وكفاح مع النزعات الإقليمية. وبالرغم من وعي الكاتب بهذه الإكراهات الخارجية والداخلية، إلا أنه كان لديه يقين بأن الغلبة ستكون آخر الأمر للفكرة القومية. وكان يبرهن على هذا الطموح بتاريخ القوميات الغربية والشرقية التي نجحت في تحقيق مشروعها، إضافة إلى ما تتمتع به الفكرة القومية من قوة ذاتية ودافعية نحو الكفاح والتضحية([21]).

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

هذا التقييم الموجز من المنظور القومي للدولة الوطنية، بغض النظر عن خلفيته الأيدولوجية، لا يكاد يختلف في موقفه المناهض لمشروع الدولة الوطنية عن الموقف الذي قدمه معاصروه من دعاة الجامعة الإسلامية. والحقيقة أن هذا التقييم يكتسب قيمته العلمية من جانبين: الأول كونه صدر عن شاهد عيان عايش تاريخ الدولة الوطنية من بداية تشكلها في الحقبة الاستعمارية إلى تاريخ استقلالها. والثاني، كونه صدر عن شخصية قومية مرموقة كان لها دور قيادي وتأسيسي في تاريخ الفكر القومي العربي. ولكن، بعكس ما توقعه أبو القومية العربية، كانت عوامل انتصار النزعة القطرية قد حسمت الموقف لصالح النزعة القطرية بالنظر إلى السياق التاريخي الذي كان فيه القرار بيد الإدارة الاستعمارية التي وجدت في دعاة الدولة الوطنية مجرد أدوات لتنفيذ مشروعها في تجزئة الوطن العربي. إن هذا المآل التاريخي يسلط الضوء على العداء الصريح الذي كان و ما يزاليبديه دعاة القومية لمشروع الدولة الوطنية.

ثالثا. تنازع الشرعية بين الجامعة القومية والجامعة الإسلامية

سبقت الإشارة إلى أن فكرة العروبة ارتبط ظهورها بالمطالب الإصلاحية التي كان يرفعها كبار المفكرين والمصلحين العرب إلى الدولة العثمانية، وهي مطالب كان يتم التعبير عنها ضمن الرابطة العثمانية، ولم تكن تحمل أية بوادر انفصالية قومية، كما لم تكن تحمل أية نوازع فكرية معادية لفكرة الجامعة الإسلامية التي كانت أساس وحدة الشعوب الإسلامية حتى سقوط الدولة العثمانية. هذا التوجه الوحدوي بين العروبة والإسلام، يشهد له تاريخ حافل من المواقف

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

النضالية والإصلاحية التي سجلتها أدبيات القادة العرب إبان تلك المرحلة، والتي يمكن اعتبارها شواهد تاريخية لا غنى عنها في فهم طبعة العلاقة القائمة آنذاك بين العروبة والإسلام.

كشفت دراسة سعد الحميدي السابقة الذكر عن هذه المرحلة التاريخية عن نتائج مهمة في تأكيد وحدة العروبة والإسلام لدى الجيل الأول من القوميين العرب. لقد امتد النشاط الفكري والسياسي لهذا الجيل في المشرق العربي على مدار النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وأوائل القرن العشرين، وضم نخبة من الأعلام أمثال علي يوسف (1863-1913)، وعبد الحميد الزهراوي (توفي 1916)، وعبد الغني العريسي (1891-1916)، ورفيق العظم (1867-1925)، ورشيد رضا (1865-1935) وغيرهم. ، كانت أفكار هذا الجيل تتمحور حول العمل في إطار فكرة الجامعة الإسلامية، وضمن الرابطة العثمانية، وتأكيد تلازم العروبة والإسلام، مع الإعلاء من شأن العروبة بحكم ارتباطها العضوي بالدين، وتوحيد كلمة العرب على مبادئ الشريعة([22]).

هذه الوحدة بين العروبة والإسلام ستستمر بكامل قوتها بعد سقوط الدولة العثمانية، وخلال الحقبة الاستعمارية، خاصة مع الكتابات السياسية الإسلامية التي هيمنت على الساحة الفكرية والسياسية في الوطن العربي منذ نهاية الربع الأول من القرن العشرين مع أعمال حسن البنا الذي أعطاها نفسا جديدا جمع بين قوة الفكرة كشعار، وفعالية العمل التنظيمي كأداة للعمل من أجل تحرير الوطن العربي، وتحقيق وحدته في أفق إنجاز مشروع الدولة الإسلامية. كان حسن البنا يرى أن الطريق إلى إعادة بناء دولة الإسلام يبدأ بتحقيق وحدة

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

الأمة العربية، وقد اعتبر البنا أن تحقيق هذه الوحدة أولا شرط لازم لإقامة دولة الإسلام. ونجد في رسائله التي كان يوجهها لأتباعه تأكيدا قويا على موضوع الوحدة. ومن توجيهاته المأثورة: "لن ينهض الإسلام بغير اجتماع كلمة الشعوب العربية ونهضتها، وإن كل شبر أرض في وطن عربي نعتبره من صميم أرضنا ومن لباب وطننا"([23]). وعندما قامت الجامعة العربية أشاد بها، واعتبرها نواة لتوسيع الدائرة نحو تأسيس هيئة أمم إسلامية شاملة: "يجب أن نتكتل ونتوحد، وقد بدأنا بالجامعة العربية، وهي وإن كانت لم تستقر بعد الاستقرار الكامل، إلا أنها خطوة مباركة على كل حال، فعلينا أن ندعمها ونقويها، ونخلصها من كل ما يحيط بها من عوامل الضعف والتخلخل، وعلينا بعد ذلك أن نوسع الدائرة حتى تتحقق رابطة أمم الإسلام –عربية وغير عربية– فتكون نواة هيئة الأمم الإسلامية بإذن الله([24]). واستنادا إلى هذا الموقف المبدئي الذي كان يمثل ثابتا من ثوابت "جمعية الإخوان المسلمين"، أمكن القول بأن الدعوة إلى فكرة القومية العربية كانت في مراحلها الأولى تقوم على تلازم العروبة والإسلام، ومن ثم لم يكن هناك أي مبرر للتراع القومي الإسلامي، باعتبارهما دائرتين متكاملتين وليستا متعارضتين.

هذه الخلفية التاريخية توحي بأن القطيعة التي تبناها القوميون بين العروبة والإسلام تعتبر أمرا طارئا ظهر مع بداية خمسينات القرن العشرين عندما تبنوا نهج علمانية الدولة. ومنشأ التراع بين هوية الدولة القومية وهوية الدولة الإسلامية راجع إلى اختلاف أساس تشكل الدولة وشرعيتها. وإذا كان أساس الدولة الإسلامية مداره على العقيدة بوصفها رابطة دينية تستغرق

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

جماعة المؤمنين بغض النظر عن لغاتهم وقومياتهم، فإن أساس الدولة القومية يرتبط باللغة كمقوم أساسي، بينما يحتل فيها الدين مكانة هامشية حيث يعتبر مجرد مقوم من مقومات الهوية الفرعية لمعتنقيه. هذا الفرق بين المنظورين -كما يقول عبد الله عبد الدائم وهو من الكتاب القوميين- هو فرق في الطبيعة وليس في الدرجة. ذلك أن الانتقال من الرابطة القومية ككيان إلى الرابطة الإسلامية لا يتم بتوسيعها الدائرة القومية بل بتجاوزها وإلغائها، فطبيعة كل من الدائرتين مباينة للأخرى([25]). هذا التحديد يوضح جانبا مهما من جوانب الصراع القومي الإسلامي، وهو الجانب المتعلق تحديدا بأساس قيام الدولة ونطاق سلطتها، ومجال نفوذها، بسبب العلاقة التقابلية التي وضع فيها القوميون كلا من العروبة والإسلام.

وتبعا لذلك، يمكن القول بأن التراع القومي الإسلامي حول شرعية الدولة يعتبر أمرا طارئا، وكان نتيجة حتمية للفصل الذي طرأ بين العروبة والإسلام، ومن ثم كان لابد من أن توضع العروبة في مقابل الإسلام. لم تعد العروبة تعني هنا مجرد لسان يجمع الناطقين بها، بل رابطة سياسية تستلهم تجربتها من القومية الأوروبية التي تجعل من الرابطة القومية أساسا لتأسيس الدولة وشرعيتها، وهو ما جعلها تصطدم لامحالة بالإسلام الذي يعتبر الرابطة القومية تعبيرا سياسيا عنصريا يتعارض مع الرابطة العقدية العابرة للقوميات والأعراق.

هذا التعارض بين المبدأين جرى التعبير عنه فكريا عبر عقود من السجالات التي دارت بين الطرفين، لكنه، وهو الأخطر، جسد تاريخا من الصراع الدموي مع وصول القوميين العرب إلى السلطة، وخاصة مع التجربة الناصرية التي حولت الخلاف

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

الإيديولوجي إلى خطة عمل استئصالية ضد خصومها الإسلاميين. وفي سياق النهج الراديكالي الذي تبنته الأنظمة الثورية، لم تنجح أي من التجارب السياسية القومية التي وصلت إلى السلطة سواء مع الناصرية أو مع صعود حزب البعث العربي الاشتراكي في كل من العراق وسوريا في إيجاد مناخ سياسي توافقي ينهي حالة الاستقطاب بين الطرفين. لقد وظف القوميون أجهزة الدولة وسلطتها المادية والمعنوية في إقصاء كامل للاتجاهات الإسلامية التي لم يسمح لها بممارسة أي شكل من أشكال العمل السياسي المنظم والمرخص. وبالمقابل، تمادت الكثير من القوى الإسلامية في تصلبها وعدم اعترافها بشرعية السلطة التي أسسها القوميون، واعتبرت التجربة القومية تجربة مستوردة تتناقض مع عقيدة الأمة العربية وتاريخها الديني والسياسي معا.

أما الآن، وقد أصبحت التجارب القومية في ذمة التاريخ، وأصبحت الغلبة للنزعة القطرية، فقد تساوت محنة الوحدويين، عروبيين وإسلاميين، وهو ما يمكن أن يؤسس لمرحلة جديدة من التوافق المبدئي، والعمل على تنسيق الجهود الوحدوية، بعيدا عن السجالات الإيديولوجية التي كانت تتغذى على وقع الصراعات السياسية. أما عن فرص نجاح مثل هذه الدعوات، فإن تاريخنا الحديث يقدم تجارب مرموقة لا تزال حية في الذاكرة حيث نجح الرواد القوميون المؤسسون الأوائل في الدمج بين العروبة والإسلام. ومما يعزز فرص هذا النجاح أن المشروعين معا يجدان نفسيهما في خندق واحد ضد النزعة القطرية المرتهنة بيد الإمبريالية العالمية. ولاشك أن أي مبادرة وحدوية من شأنها أن تؤسس لجبهة عربية إسلامية موحدة تسهم في عزل اللبراليين

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

العرب من ذوي النزعة الانفصالية الذين ينفردون بالدفاع عن شرعية الدولة الوطنية، بحكم أن هذه الدولة -كما يقول عبد الإله بلقزيز-هي دولتهم، ورأوا فيها كيانا ضامنا للحق في التملك والحرية الاقتصادية والتنافس قصد الربح([26]). ومما يعزز فرص هذا النجاح، خفة حدة الصراع القومي الإسلامي، وظهور مبادرات تفاهم مشترك كما تجلى في الحوار القومي الإسلامي، وما تمخض عنه من نتائج واعدة يمكن أن تشكل قاعدة لعلاقات مستقبلية أفضل.

رابعا. فشل المشروع الوحدوي وسياسة المرحلية

واجه المشروع الوحدوي بشقيه الإسلامي والعروبي عقبات لم يكن بإمكانه تجاوزها، فقد أصبحت الدولة القطرية واقعا سياسيا يحتكر الشرعية السياسية، ويحتمي بقوة القانون الدولي، ويفرض إرادته دونما أي اكتراث لدعوات الوحدة ومصالح الشعوب العربية والإسلامية. وأمام هذا الواقع أصبح هناك وعي متزايد لدى كل من القوميين والإسلاميين بتكييف آليات عملهما وفقا للمعطيات الظرفية المحلية والدولية القائمة، وهو ما فرض التفكير في تبني سياسة المرحلية في إنجاز المشروع الوحدوي. وقد أظهرت الاجتهادات الفكرية التي ساهم بها الطرفان معا تقديم صيغ تتميز بقدر كبير من المرونة والواقعية والانفتاح على كل الخيارات الممكنة.

1.المشروع الوحدوي الإسلامي وسياسة المرحلية

على عكس النزعة المثالية الحالمة التي طغت على الجيل الأول من دعاة الوحدة العربية، تميزت الاجتهادات

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

التي قدمها رموز الوحدة الإسلامية في غالبها بقدر كبير من الواقعية والحذر. هذه الوحدة يمكن ملاحظتها بقوة في الأدبيات السياسية لدى الجيل الأول والتي أعقب ظهورها سقوط دولة الخلافة مباشرة، كما لدى الأجيال اللاحقة التي ولدت ونشأت في أحضان الدولة الوطنية في مرحلة الاستقلال. كان أحمد عبد الرزاق السنهوري وحسن البنا من الأوائل الذين تنبهوا إلى ضرورة تبني خيار المرحلية في استعادة دولة الخلافة الضائعة، وكانا معا يعكسان وعيا كاملا بتعذر قيام دولة الخلافة عقب سقوط الدولة العثمانية.

وتكمن أهمية الأطروحة التي قدمها السنهوري في كونها جاءت محايثة لتفكك دولة الخلافة حيث صدرت أطروحته العلمية في العاصمة الفرنسية باريس سنة 1926، وهي نفس السنة التي عقد فيها عقد مؤتمر الخلافة في القاهرة. وفي الوقت الذي كان فيه العلماء المجتمعون في القاهرة قد دخلوا في جدال عقيم حول التصورات الفقهية التاريخية الكفيلة باستعادة مجد الخلافة الضائع تحت وقع مدافع الاحتلال، كان السنهوري يرسم معالم الدولة الموحدة ضمن منظور مستقبلي يستثمر الفرص المتاحة، ويتعايش مع الواقع الجديد في أفق تجاوزه ضمن حدود الممكن والمتاح. يؤسس السنهوري نظريته على ثلاثة مقدمات: إقامة نظام حكم ناقص لاستحالة إقامة نظام الخلافة الكاملة في ظل الشروط الراهنة، واعتبار هذا النظام الناقص مؤقتا ومحكوما بحال الضرورة، والتزام المرونة في أي صياغة مستقبلية للخلافة الكاملة مادام أن الشريعة الإسلامية لم تفرض إطلاقا شكلا معينا لنظام الحكم، وهو ما يسمح بابتداع نظام يتجاوب مع ظروفنا الحالية. والنظام

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

الذي اقترحه يأخذ بعين الاعتبار تعدد الاتجاهات القومية والنزعات الانفصالية، وهو ما يتطلب الاعتراف لكل بلد بحكمه الذاتي في إطار وحدة تجمع بين الشعوب الشرقية، وهو ما حاول توضيحه من خلال توصيف هياكل هذه الوحدة ومجالسها ومهامها([27]).

أما حسن البنا الذ عايش الحراك الفكري والسياسي الذي صاحب سقوط الخلافة، فقد كان يدرك بوعيه الثاقب ما وصل إليه حال الأمة من التفكك والانحطاط الحضاري، وتنازع المصالح، ودسائس الاحتلال، وكلها دلائل قاطعة على غياب الشروط الموضوعية لنجاح المشروع الوحدوي. لذلك، اتجه التفكير السياسي عند البنا إلى طرح مسألة الدولة ضمن خطة إعادة إعمار شاملة تعيد للأمة دورها الحضارية، وهي مهمة يقع عبء إنجازها على المجتمع ذاته، وليس مجرد قرار مرتهن بد الأحزاب والنخب السياسية التي هي جزء من المشكلة. ولتحقيق هذا الهدف، اتجه تفكير البنا إلى إيجاد إطار تنظيمي مؤسسي يعيد إلى المجتمع فاعليته وانخراطه في عمل منظم ووفق رؤية إصلاحية شاملة، وهو ما أثمر في تأسيس جمعية "الإخوان المسلمين" سنة 1928.

كان حسن البنا يعتقد يقينا بأن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية، ومناط الأحكام الشرعية، والتي لا قوام لأي مجتمع إسلامي في غيابها، ومن ثم وضع خطة عمل بعيدة المدى لاسترجاعها تعتمد سياسة المرحلية، مع الأخذ في الحسبان واقع الاحتلال من جهة، وحال الأمة من جهة ثانية. بداية، انتقد البنا الفكرة الداعية إلى الجامعة الإسلامية، وكان يرى أن الحديث عنها في ظل الأوضاع الراهنة مجرد كلام لا ظل له من الحقيقة، ومن ثم يرى أن الحل لابد أن يكون شاملا ومتكاملا، يقوم

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

على تأسيس نهضة شعارها النظام الإسلامي الاجتماعي في الداخل، والتحرر من السلطان الأجنبي في الخارج، والتعاون التام بين الأمم الإسلامية في جميع أنحاء الأرض، وتأسيس حكم إسلامي لقيام دولة إسلامية تقود الدول الإسلامية وتضم شتات المسلمين، لتحقيق وحدتهم المرتقبة([28]).

أما الأدبيات الإسلامية التي ظهرت في ظل قيام الدولة الوطنية، فإن مقاربتها كانت ترتكز –كما لاحظ محقا رفيق حبيب– على أن الدولة القطرية أصبحت أمرا واقعا، مما يعني أن عملية الإصلاح السياسي تبدأ لكل حركة على المستوى القطري أولا. وبحسب تصنيف الكاتب للرؤى السياسية التي أنتجتها الاجتهادات الإسلامية المعاصرة، استعرض ثلاثة تصورات لتحقيق الدولة الإسلامية:

الأولى: دولة قطرية إسلامية، من خلال إصلاح الدولة القطرية القائمة لإعادة بنائها على أساس المرجعية الإسلامية، بحيث تكون نموذجا متبعا في الدول القطرية الأخرى بما يساعد على توحيد النظام السياسي بين الدول العربية والإسلامية، وتحقيق الوحدة السياسية للأمة الإسلامية.

الثانية: القبول بدولة قطرية مؤقتة، دون تغييره، على أساس نظرة واقعية تأخذ بالحسبان قوة الدولة العلمانية، والدعم الغربي لها. وتفترض هذه الفكرة أن الحركة الإسلامية حال وصولها إلى السلطة ستمر بمرحلة انتقالية تعمل فيها على تحقيق حكم صالح ورشيد، مع تأجيل مشروع الدولة الإسلامية حتى تتغير الأوضاع العالمية والإقليمية، بما يسمح من الانتقال إنجاز بناء الدولة الإسلامية.

الثالثة: دولة قطرية دائمة، بمرجعية إسلامية تعمل على تطبيق الشريعة،

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

لاستحالة تحقق الوحدة السياسية الإسلامية في ظل الظروف الدولية الراهنة([29]).

هذا التصورات الثلاثة تلتزم العمل السلمي في التغيير السياسي، في مقابل حركات سياسية أخرى ترى أن العمل من خلال دواليب الدولة القطرية غير مثمر، ومضيعة للوقت، ومن ثم تتبنى العمل الجهادي لهدم الدولة القطرية من أساسها لإقامة الدولة الإسلامية على أنقاضها.

وفي مقابل كل هذه المقاربات التي يمكن وصفها بالسياسية، ثمة رؤية بديلة تعتمد المقاربة الثقافية في التغيير، وترى أن أي عمل سياسي مباشر يستهدف إقامة الدولة الإسلامية هو عمل غير مجدي في ظل الأوضاع الراهنة، الداخلية والعالمية. ومن ثم، تتجه هذه المقاربة إلى تأجيل مسألة التفكير في إقامة الدولة الإسلامية برمتها، وتركز عملها على إعادة بناء المجتمع الإسلامي وليس الدولة الإسلامية، فالدولة جهاز إداري وظيفته تأمين الوظائف الحيوية للمجتمع الإسلامي، وفي غياب هذا المجتمع تحت هيمنة النمط المؤسسي الحداثي الغربي، لا يبقى مبرر لإقامة هذا الجهاز. كما أن وصول الإسلاميين إلى السلطة أمر وارد في الحسبان، لكنه ليس بمقدوره تغيير آليات اشتغال الدولة الحديثة بما يفرض عليها النموذج الإسلامي، بل إن المتوقع هو أن تبتلع الدولة بأجهزتها المؤسسية نشاط الإسلاميين بما يدمجهم في قالبها السياسي الحداثي وليس العكس. لذلك، لا تسمح هذه المقاربة بالصراع على السلطة، أو أي شكل من أشكال العمل السياسي المنظم والمباشر، ومن ثم ترى أن سؤال التغيير لدى الإسلاميين في الظروف الراهنة مناطه المجتمع وليس الدولة. ولا يعني ذلك إنكارا لمشروعية سؤال الدولة، لكنه

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

سؤال مؤجل إلى أن تتهيأ شروطه المجتمعية والثقافية في الداخل القطري أولا، ثم الإقليمي والإسلامي ثانيا، بما يمكنه من مواجهة الإكراهات والعوائق الدولية التي تشكل العامل الأكثر تأثيرا على مساره.

والخلاصة المستفادة من مجموع هذه المناقشات أمران:

الأول، أن هذه الأدبيات المتعلقة بإعادة بناء الدولة الإسلامية، بغض النظر عن كل التباينات التي تظهرها، تؤكد حقيقة ثابتة، وهي أن القوى الإسلامية، منذ بوادرها الأولى مع الجيل الأول الذي عايش سقوط نظام الخلافة إلى الآن، لا تعترف بشرعية الدولة الوطنية الحديثة، سواء أصرحت بذلك أم لا، وسواء أكانت خياراتها السياسية سلمية أم عنيفة، وإلا لكان شعار الدعوة إلى الدولة الإسلامية ضربا من اللغو، ومجرد تحصيل حاصل.

أما الثانية، فهي أن الاتجاه العام الغالب على الأدبيات السياسية الإسلامية يعتبر مسألة الوحدة السياسية ثابتا من ثوابت نظام الحكم الإسلامي، وذلك بغض النظر عن شكل هذه الوحدة، سواء أكانت مركزية أم اتحادية، وبغض النظر أيضا عن تحققها، في العاجل أو الآجل، فسياسة المرحلية لا تعني إسقاط الوحدة، بل فقط آلية من آليات العمل المتاحة والممكنة واقعيا لتحقيقها.

2. المشروع الوحدوي القومي وسياسية المرحلية

ولد المشروع السياسي القومي تواقا نحو مستقبل يحكم فيه العرب أنفسهم، ويجسد أحلامهم في تحقيق وطن عربي موحد. لكن هذا المبدأ وإن ظل هدفا ثابتا لدى التيارات القومية، إلى أن مسالك تحقيقه

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

خضعت لكثير من الجدل. ولقد تباينت وجهات نظر القوميين العرب تباينا واضحا في تحديد شكل الوحدة. ثمة دعوات قومية متحمسة لم تكن ترى بديلا عن وطن عربي واحد، وجامع لكل البلدان العربية من المحيط إلى الخليج. لكن، في مقابل هذا المشروع الطموح والمثالي، كما يصفه آخرون، ظهر تيار قومي ينادي أصحابه بنوع من المرحلية في إنجاز المشروع الوحدوي الشامل من خلال تحقيق مشاريع وحدوية إقليمية أولا، كوحدة دول المغرب العربي، ووحدة دول وادي النيل، ووحدة دول الجزيرة العربية، ووحدة دول الهلال الخصيب. وفي سياق الدعوة إلى فكرة المرحلية دائما، ظهرت دعوات أخرى رجحت تحقيق المشروع الوحدوي مرورا بفكرة "الإقليم القاعدة"، حيث يتم تشكيل نواة وحدوية قابلة للتوسع مع الزمن، في أفق تحقيق الوحدة الشاملة.

في هذا السياق، يصف محمد عابد الجابري الأيديولوجيا الوحدوية التي سادت في مرحلة الخمسينات والستينات، والتي كانت تؤمن بالوحدة الاندماجية الشاملة بالطوباوية الحالمة، ليس قدحا فيها كما يقول، بل لكونها غير واقعية لعدم توفر شروط تحقيقها([30]). كما ينتقد فكرة "الإقليم القاعدة" التي ربطت تحقق الوحدة ببروز قطر عربي يتزعم فكرة الوحدة ويدعو إليها. وهو يرى أن هذه الفكرة غير عملية لعجزها عن التعبئة الأيديولوجية في ظل الواقع العربي القائم، فضلا عن إخلالها بشرط التكافؤ بين الأقطار العربية وتكريسا لثنائية المركز والأطراف، وهو ما يؤدي إلى نتائج عكسية حيث يتوقع من الدول الأطراف أن تحارب فكرة الوحدة دفاعا عن كيانها ورفضا للتبعية لجوارها([31]). وبالمقابل، يدعو الكاتب إلى التعامل مع مطلب

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

الوحدة العربية بنظرة موضوعية تتعامل معها كمشروع عملي تاريخي، يقوم على المصلحة والتراضي، مع الاعتراف لجميع الدول العربية بحق متساو، وفي إطار عقد مبني على الاختيار الديموقراطي الحر. ولأن تحقيق الوحدة وفقا لهذا المنطق رهين بوجود أنظمة ديموقراطية، وهو شرط مفقود في أنظمة الحكم العربية، وتجنبا لتأجيل التفكير في مسألة الوحدة، لا مناص من قبول أي شكل من أشكال الوحدة الممكنة التي يتكامل فيها العمل الإقليمي والعمل القومي، وفي ظل الأنظمة القائمة، في أفق النضال من أجل تصحيح المكاسب الوحدوية وتعميقها، بما يفسح المجال لقيام تيار وحدوي واحد يخترق الحدود والفئات([32]). ومن خلال ما تم إنجازه من دراسات منظمة، تبنى مركز دراسات الوحدة العربية في دراسته الموسعة عن "استشراف مستقبل الوطن العربي" خيار "الوحدة العربية الاتحادية"([33]).

من خلال هذا العرض الموجز لكل من التجربتين القومية والإسلامية، نلحظ وجود توافق كبير بينهما فيما يتعلق بنهج سياسة المرحلية كخيار أمثل لتجنب تعطيل مشروع الوحدة. لكن هذا التوافق في النهج العام، لا يمنع من وجود فروق أساسية بين درجة استجابة كل منهما لضغوط الدولة القطرية، ومدى مسؤولية الطرفين عن فشل إنجاز المشروع الوحدوي بحكم تباين التجربة القومية التي وصلت إلى السلطة عن التجربة الإسلامية التي بقيت خارجها أو أجهضت محاولاتها. ومن خلال الملاحظات النقدية التي أوردها الطرفان في تقييم التجربة القومية، تبرز نقاط أساسية نجملها في الملاحظات التالية:

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

فيما يتعلق بدرجة الاستجابة لضغوط الدولة القطرية، يرى رضوان السيد أنها تباينت بين التيارين، فبينما التحق أكثر القوميين بالأنظمة السائدة أو كادوا، شكل الإسلاميون منذ منتصف السبعينات الفريق الرئيس في المعارضة في أكثر البلدان العربية([34]). وفي السياق ذاته ثمة من يذهب إلى أبعد من هذا إذ اعتبر أن هذا التكيف حدث تلقائيا عندما كان التيار القومي في على رأس الدولة. "فبعد أن استغرقته السلطة واستبدت به متطلباتها، تجمد عند حدودها وانحرف إلى التكيف مع واقعها القطري، ومن ثم فقد ريادته الفكرية، وخسر روحه الوحدوية، الأمر الذي أبعده عن الحركة الشعبية"([35]).

أما فيما يتعلق بفشل المشروع الوحدوي، فإن تكرار حالات الفشل في التجارب القومية، خاصة انتكاسة 67، باتت تطرح على المشروع القومي أسئلة حرجة، فقد حدثت الانتكاسة تحت القيادة السياسية للقوميين العرب، كما أن هذه القيادة لم تنجح في تحقيق وعودها الوحدوية بالرغم من استمرار وجودها في السلطة لبضعة عقود، وتحكمها في دول كانت متجاورة جغرافيا حيث كانت تمتد من الجزائر غربا إلى سوريا شرقا. وفي هذا السياق، يرى خير الدين حسيب أن وصول بعض التيارات القومية إلى السلطة في الخمسينات والستينات لم يواكبه "جهد فكري واضح حول شكل الوحدة وصيغها، ومؤسساتها، وقواها، وآليات الوصول إليها، وموقف القوى الاجتماعية منها"([36]).

إضافة إلى ذلك، ثمة أمر آخر يتعلق بالنهج السياسي الذي سلكته التيارات القومية تحت تأثير الأيديولوجية الاشتراكية الثورية، حيث وجدت في الانقلابات

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

العسكرية طريقا مختصرا للوصول إلى السلطة. ومع أن هذا المسلك كان مؤشرا على اغتراب تلك النخب العسكرية عن بيئتها الاجتماعية النابذة، فقد جرى تقييمها إيجابيا من قبل النخب الفكرية القومية آنذاك. ولا شك أن النهج الانقلابي كان يجد تفسيره في نخبوية التيارات القومية الثورية، وافتقارها إلى قاعدة شعبية تدعمه كرافعة سياسية. ولعل الدرس التاريخي الذي يتعين استخلاصه من هذه التجربة، أن إنجاز المشروع الوحدوي يقتضي بالضرورة إنجاز مصالحة تاريخية مع ثقافة المجتمع واحترام ما يعتبره ثوابت مقدسة، وما لم يتم إنجاز هذا الشرط التاريخي، ستظل الأخطاء التاريخية تتكرر لا محالة.

هكذا كان مطلب الاستقلال ضمن الحدود القطرية ردا على قرار الاستعمار، وكأن الاستعمار أصبح جسرا للعبور نحو القطرية بفرض آليات إكراهية تضع الشعوب المستعمرة أمام خيار أحادي مفروض بقوة القانون الدولي الذي جعل من الاعتراف بالحق في السيادة الوطنية أمضى سلاح في لعبة التجزئة بهدف حرمان الشعوب "المستقلة" من عمقها العربي الإسلامي. وأيا كان تقييمنا لأداء الحركة الوطنية في منطقة الغرب الإسلامي، وبغض النظر عن تناقضاتها الداخلية بفعل تعدد ولاءاتها وتباين مواقفها من قوى الاحتلال آنذاك، ساهمت تلك الحركات، بقصد وبغير قصد، في تعميق النزعة الانفصالية، والتوجه نحو الدولة القطرية، وهي النزعة التي جرى تعميقها وتعزيزها فعليا مع الزمن خلال مرحلة الاستقلال حيث وقفت الدولة القطرية ضد المطالب الوحدوية القومية والإسلامية على السواء. ولعل المفارقة هنا تكمن في أن الحكومات التي خرجت من رحم المقاومة سرعان ما تنكرت

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

لاستحقاقات الاستقلال كما تنكرت لكل المبادئ الوحدوية التي كانت تستند إليها في تعبئة القوى المجاهدة، وأصبحت منذ اللحظات الأولى للاستقلال أكثر شراسة في تشبثها بالحكم، بل ودخلت في صراع داخلي رهيب على السلطة، كما دخلت في حروب بينية في الوقت الذي كانت فيه زمن الاحتلال تنسق جهودها العسكرية والسياسية.

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

الهوامش :

(1) تطور الحركة الوطنية في مصر من سنة 1918 إلى سنة 1936، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط2، 1983، ص29-30.

(2) نفسه، ج1، ص48.

(3) محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مكتبة الآداب ومطبعتها، مصر، ط3، 1980، ج1، ص 65.

(4) نفسه، ج1، ص12.

(5) سجل كل من إ. جرشوني و ج. جانكوفسكي تفاصيل مهمة عن الصراعات التي كانت تدور على الساحة المصرية منذ أوائل القرن العشرين بين أنصار الوطنية المصرية من جهة وأنصار الرابطة العثمانية من جهة ثانية. راجع في ذلك كتابهما "هوية مصريين العرب والإسلام 1900-1930" ترجمة بدر الرفاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2013.

(6) الأبيات المقتبسة هنا والتي تليها للشاعر نسيم، وقد قال عنه محمد محمد حسين بأنه كان مشايعا للإنجليز رغبة في مالهم. انظر كتابه: محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مكتبة الآداب ومطبعتها، مصر، ط3، 1980، ج1، ص116.

(7) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مرجع سابق، ج1، ص79-80.

(8) هوية مصر بين العرب والإسلام، مرجع سابق، ص29.

(9) لمزيد من الاطلاع حول هذا الموضوع، يمكن الرجوع إلى كتاب الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية جديدة، منشورات دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، ط2، د.ت. ص31-32.

(10) سعيد جلاوي، مكتب المغرب العربي بالقاهرة من الائتلاف إلى الاختلاف 1948/1947، مجلة معارف، العدد 21، دسمبر 2016، ص212.

(11) يوسف مناصرية، الصراع الأيديولوجي في الحركة الوطنية التونسية 1934-1937، دار المعارف للطباعة والنشر، سوسة، تونس، ط 2002، ص23-28.

(12) الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مرجع سابق، ص156-157.

(13) نفسه، ص97.

(14) نفسه، ص100.

(15) راجع بهذا الخصوص: وجيه كوثراني، الاتجاهات الاجتماعية السياسية في جبل لبنان و المشرق العربي 1860 - 1920 مساهمة في دراسة أصول تكونها التاريخي، بيروت، معهد الإنماء العربي، 1978، الصفحات: 164، 309، 251.

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

(16) مكي شبيكة، العرب والسياسة البريطانية في الحرب العالمية الأولى، دار الثقافة، بيروت، 1978، ص43.

(17) علي محافظة، موقف فرنسا وألمانيا وإيطاليا من الوحدة العربية 1919-1945. مركز دراسات الوحدة العرية، بيروت، ط1/1985، ص166.

(18) يونان لبيب رزق، موقف بريطانيا من الوحدة العربية 191-1945، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1999، ص185-195.

(19) الاتجاهات الوطنية في الأدب العاصر، مرجع سابق، ج2، 145.

(20) ساطع الحصري، محاضرات في نشوء الفكرة القومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985، ص163.

(21) نفسه، ص162-171.

(22) للوقوف على مزيد من التفاصيل حول الفكر القومي لهذا الجيل ينظر: سعد ثامر الحميدي، الصراع بين القوميتين العربية والتركية، وأثره في انهيار الدولة العثمانية في الربع الأول من القرن العشرين، المطبعة العربية الأولى، الدوحة، ط1، 2011، ص133-177.

(23) مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا، مؤسسة الرسالة، بيروت 1980، ص70.

(24) نفسه، ص355-356.

(25) عبد الله عبد الدائم، ينظر مداخلته ضمن ندوة " الحوار القومي الديني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1989، ص124.

(26) عبد الإله بلقزيز، الدولة والمجتمع، جدليات التوحيد والانقسام في الاجتماع العربي المعاصر. الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2008، ص107.

(27) فقه الخلافة وتطورها لتصبح عصبة أمم شرقية، تحقيق توفيق محمد الشاوي ونادية عبد الرزاق السنهوري، مؤسسة الرسالة ناشرون، د. ت.، ص339 وما بعدها.

(28) ينظر: إبراهيم البيومي غانم، الفكر السياسي للإمام حسن البنا، مدارات للأبحاث والنشر، القاهرة، ط2012/1، ص239-240.

(29) ينظر رفيق حبيب، الدولتان: الإسلاميون والدولة القومية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط2012/1، ص46-50.

(30) محمد عابد الجابري، مسألة الهوية، العروبة والإسلام والغرب. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط4، 2012، ص80-81.

(31) نفسه، ص73-76.

(32) نفسه، ص70-84.

(33) ينظر خير الدين حسيب، الحوار القومي الديني، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 1989، ص20.

المنارة للاستشارات
ww

تاريخ الارسال: 2019/01/15 تاريخ القبول:2019/04/14 تاريخ النشر 2019/12/22

([34]) نفسه، ص261.
([35]) بشارة مرهج، ينظر مداخلته في المرجع نفسه، ص291.
([36]) الحوار القومي الديني، مرجع سابق، ص275.

المنارة للاستشارات
ww